الأستاذ بطّيخ

تأليف: سناء شباني
رسم: أنجيلا نوربتليان

أُحبُّ البَطّيخَ وهذا أَكْثَرُ شَيْءٍ يَعرِفُهُ عَنّي أَصْدقائي في الصَّفّ.
وعِندَما قالَتْ لنا مُعَلِّمَةُ الرَّسْمِ في الحِصَّةِ الماضِيَة: لقدْ أَصْبَحْنا على أَبْوابِ فَصْلِ الصَّيْفِ وأَطْلُبُ مِنْ كُلِّ واحِدٍ مِنْكُم رَسْمَ الفاكِهَةِ المُفَضَّلَةِ لَدَيْه،
حَضَرَ البَطّيخُ في بالي على الفَوْر.
بَدَأْتُ أَسْمَعُ هَمَساتِ الأَصْدِقاءِ ثُمّ أحاطوني بِنَظَراتِهِمْ وابْتِساماتِهِمْ وأنا أَتَباهى وأَرُدُّ عَلَى تَعْليقاتِهِمْ بِمَرَحٍ في أَنْ أَعْتَبِرَ البَطّيخَ مَلِكَ فاكِهَةِ الصَّيْف. عَلَتِ الضَّجَّةُ ثُمَّ هَدَأَ الجَميعُ احْتِراماً لِلآنِسَة، لَكِنْ لَمْ يَنْجَحْ حَمَدٌ في إِخْفاضِ صَوْتِهِ فَقَدْ سَمِعْناهُ جَميعاً يَهْمِسُ في أُذُنِ وَليد: مَحْمود، الأُستاذ بَطّيخ.
لم يُفْسِدْ ذلك عليَّ فَرْحَتي في اشْتِهاءِ البَطّيخِ ورَسْمِه، طَبْعاً.
أَخْرَجْنا عُلْبَةَ الأَلْوانِ وبَدَأْنا الرَّسْمَ بالهُدوءِ المَطْلوب.
رَسَمْتُ بَطيخَتي كَما اشْتَهَيْتُها حَمْراءَ حَمْراء،
قَليلَةَ البُذورِ وقَطَّعْتُها إلى شَرائِحَ كَبيرَة.

لوَّنْتُ قِشْرَتَها باللَّوْنِ الأَخْضَرِ الغامق.وفي أسْفَلِ الصَّفْحَة كَتَبْتُ: أَلَذُّ فاكهَةِ الصَّيْف. غَنيَّةٌ بالفيتامين ج، تَرْوي العَطَشَ وخاصَّةً عنْدَما نأْكُلُها منَ الثَّلّاجَة. سَلّمْتُ وَرَقَتي إلى مُعلِّمَتي ورَأَيْتُ الأَصْدقاءَ الَّذينَ لمْ يُشاهدوني وأنا أَرْسُمُ قَدْ مَدّوا أعْناقَهُمْ وتابَعَتْ نَظَراتُهُمْ ما ظَهَرَ مِنْ رَسْمي وأنا أُقَدِّمُهُ إلى المُعلّمَة.

تَنَوّعَتْ رُسومُ الأَصْدقاءِ ما بَيْنَ تينٍ ورُمّانٍ وخَوْخٍ ودُرّاقٍ وعِنَبٍ وشَمّامٍ ومِشْمِشٍ وسَفَرْجَلٍ. إقْتَرَبْتُ من لينا التي لمْ يُعْجِبْها المَوْضوعُ مِنْ أساسِهِ وأنا أعْرِفُ أنَّها لا تُحبُّ الفاكهَةَ أبداً، رَأَيْتُها تَبْدو مُنْزَعِجَةً وهي تُلَوِّنُ ثِمارَ المَوْزِ الَّتي رَسَمَتْها . لاحَظْتُ أنَّ الجَميعَ اسْتَمْتَعَ في تَرْكِ تَجْرِبَةِ رَسْمِ البَطّيخِ لي وَحْدي.

عُدْتُ إلى المَنْزِلِ وبَعْدَ الغَداءِ مُباشَرَةً قُلْتُ لِوالدَتي إنَّني أشْتَهي البَطّيخَ وأُريدُه اليَوْم.وَعَدَتْني أَنْ تَطْلُبَ مِنْ والِدي أَنْ يُحْضِرَ واحِدةً عِندَ عَوْدَتِه في المَساء.

خِفْتُ أَنْ يؤجِّلَ والدي المُهِمّةَ إلى الغَدِ فَرَفَضْتُ العَرْضَ

وأَصَرّيْتُ أنْ نَذْهَبَ معاً إلى الدُّكّانِ القَريب.

وافَقَتْ أُمّي بَعْدَ رَجائي الشَّديد.

غيّرَتْ مَلابِسَها ونادَتِ ابْنَةَ الجيرانِ تالةَ حتّى تَبْقى مَعَ أُخْتي الصَّغيرَةِ إلى حينِ عَوْدَتِنا مِنَ الدُّكّان.

تَقَدّمْت أمّي ووَصَلْتُ قَبْلَها إلى دُكّانِ الحَيّ . إنْشَرَحَ صَدْري وشَعَّت الفَرْحَةُ في عُيوني عِنْدَما رَأَيْتُ ثَلاثَ بَطّيخات قدْ زَيّنَتْ طاوِلَةَ العَرْضِ في الدُّكّان. وعِنْدَما دَخَلْتُ بادَرْتُ الكَلامَ قائلاً: أرأيْتِ؟ لقد بَدَأ مَوْسِمُ البَطّيخ.

أَلْقَتْ أُمّي التَّحيَّةَ على صاحبِ الدُّكّان « الدُّكّنجي» سَعيد، سألَتْهُ عَنْ سِعْرِ كيلو البَطّيخِ واقْتَرَبَتْ تَتَفَحّصُ كُلاًّ منَ البَطّيخاتِ الثَّلاثِ وأنا أَدْرُسُ نَظراتِ أُمّي. لم يُعْجِبْها السِّعْرُ المُرْتَفِعُ وهَمَسَتْ لي: كما أنّها تَبْدو غَيْرَ جَيِّدَة.

أجابَها صاحِبُ الدُّكان كُلُّ شَيْءٍ سِعْرُهُ مُرْتَفِعٌ في أَوَّلِ مَوْسِمِه.

اكْفَهَرَّ وَجْهي وقُلْتُ لأُمّي وأَكادُ أَبْكي: ماما.. أَرْجوك.

تَأَفّفَتْ وقالَت لي: أَخْشى أنْ نَجِدَ قَلْبَها أَبْيَضَ .. لنْ تَكونَ حُلْوَةً كما تَشْتَهي.

كُلّما كَبُرَ حَجْمُ البَطّيخِ المَحَلّي أي الّذي تُنْتِجُهُ بِلادُنا يَكونُ قَلْبُهُ سُكَّريّا.

شَكَرتْ أُمّي صاحبَ الدُّكّان سعيداً وسَحَبَتْني خَلْفَها إلى المَنْزِل. بَكيْتُ طَوالَ الطَّريقِ وهِيَ تَطْلُبُ مِنّي أنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ البُكاءِ وأنا لا أَسْمَعُ كَلامَها. وفي المَنْزِلِ وَعَدَتْني أَنْ تَطْلُبَ مِنْ والِدي أنْ يُحضِرَ لنا واحِدَةً جَيِّدَةً مِنْ سوقِ الجُمْلَةِ فَسَكَتُّ.

عادَ معَ غُروبِ الشَّمْس. رَأيْتُه منَ الشُّرْفَةِ يَخْرُجُ منَ السَّيّارَةِ بِسُرْعَةٍ.
صَعَدَ ووَجَدْتُني مُحاطاً بِذِراعَيْه.
سَألني: لماذا لَمْ تَفْهَمْ أَنّ أُمَّكَ لم تُحْضِرْ بَطّيخاً لأنَّها وَجَدَتْه غَيْرَ مناسبٍ في الدُّكّان؟ لمْ أَرُدّ. تابَع: لقد عَوَّدْناك على الصَّبْرِ والإنْتِظار، فماذا أَصابَك اليَوْمَ؟

نَحْنُ نُحِبُّكَ ولكِنْ لا نَسْتَطيعُ أَنْ نُحْضِرَ لك ما تُريدُ في أيِّ وَقْت.
قُلْتُ لأبي: أعْرِفُ أنّكما تُحبّانني.
هل سَتُحْضِرُ لي البَطّيخَ اليَوم؟ لَمْ يَرُدّ.
إعْتَذَرْتُ منه ومِنْ أُمّي وقال لي: أَقْبَلُ اعْتِذارَك.

نَظَرْتُ إلى وَجْهِ أُمّي فَأَرَتْني ابْتِسامَتَها المَرِحَة.
قال لي والِدي: سَوْفَ أُحْضِرُ بَطّيخَةً اليَوْمَ منَ السّوقِ شَرْطَ أَنْ تَعِدَني أَنْ لا تَبْكِيَ في المَرّةِ القادِمَةِ حَتّى نَفْعَلَ لك ما تُريدُ أنا أَوْ أُمُّك.

وَعَدْتُه ثُمّ أخَذَني مَعَهُ إلى السّوقِ البَعيد. كَمْ أحْبَبْتُ الرِّحْلَةَ معه في السَّيّارة!
وعِندَما وَصَلْنا اشْتَرى أبي بَعْضَ أكْياسِ الخُضارِ وتَرَكَ لي مُهِمّةَ اخْتِيارِ بَطّيخَة.

إخْتَرْتُ أكْبَرَ بَطّيخَةٍ بِحجَّةِ أنَّ قَلْبَها سَيكونُ الأكْثَرَ إحمراراً ونَكْهَتَها قد إزْدادَتْ حَلاوَةً.. ضَحِكَ أبي ودَفَعَ ثَمَنَها وثَمَنَ الأغْراضِ وحَمَلَ البَطّيخَةَ بِصُعوبَةٍ إلى السَّيّارَة.

في المَنْزِل كانَ أوّلُ سُؤالٍ طَرَحَتْه أُمّي: كَيْفَ سَأَضَعُ هذه في الثَّلّاجَة؟
كانَتْ كَبيرَةً جدّاً. أَعْرِفُ أَنّ أُمّي تَلَبّكَتْ وأَمْضَتْ وَقْتاً طَويلاً تُحاوِلُ إِعادَةَ تَرتيبِ
الثَّلّاجَةِ حتّى أنّها اضْطُرَّتْ إلى إخْراجِ أَغْراضٍ كَثيرَةٍ مِنْها.
أمّا أنا فَقَدْ تَأَخّرْتُ في الذَّهابِ إلى النّوْم.. بَقيتُ أتَجَوَّلُ مِنَ المَطْبَخِ إلى غُرْفَةِ
الجُلوسِ وأَسْأَلُ عَنْ وَضْعِ البَطّيخَةِ في البَرّاد: هل أَسْتَطيعُ أن آكُلَ مِنْها الآن؟

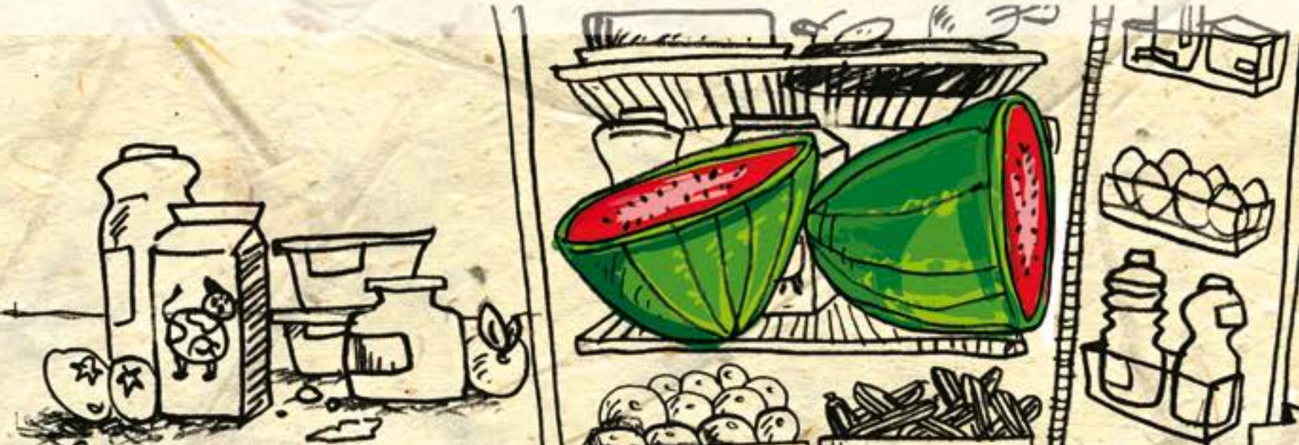

فَيُجيبُني وَالِدي وتارَةً أُمّي: إنْتَظِرْ.. لم تَبْرُدْ كِفايَة. وعِنْدَما نادَتْني أُمّي رَكَضْتُ
إلى المَطْبَخ. وَضَعْتُ أَوَّلَ قِطْعَةٍ في فَمي واسْتَمْتَعْتُ بها كثيراً. أَكَلْتُ وأَكَلْتُ وتَفاجأ
والِداي بالكَمِّيَّةِ الَّتي تَناوَلْتُها وقَدْ ساعَدَ ذلك في إعادَةِ الأَغْراضِ إلى مَكانِها في
الثَّلّاجَة، عِندَما عادَ مَعَها نِصْفُ البَطّيخَةِ فَقَط.

وما حدَثَ بعد ذلك أنّ بَطني الكَبيرَ الذي امْتَلأَ بَطيّخاً مَنَعَني مِنَ النَّوْمِ المُمْتِع.
بَقِيْتُ طَوالَ اللَّيْلِ أَتَنَزَّهُ مِنْ غُرْفَتي إلى الحَمّام... حتّى مطْلَعِ الصَّباحِ.